الآراء الصوفية عند الإمام الصاوي

١١٧٥هـ-١٢٤١هـ

بحث مقدم من

د. إبراهيم محمد رشاد إبراهيم

أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد

كلية الآداب بقنا جامعة

جنوب الوادى

مقدمة

يعد الإمام الصاوي(**١١٧٥هـ ١٢٤١هـ**) أحد أعلام متأخري المذهب الأشعري وأبرزهم، فهو أزهري وصوفي من كبار الصوفية، وشيخه في الطريق هو الإمام الدردير، وهو مالكي المذهب خلوتي الطريقة، له شهرة واسعة في العالم العربي، وله مؤلفات عديدة في مناصرة مذهب الأشاعرة، والذي يعد أبرز مذهب ينتمي إلى الإسلام، مع ما فيه من محدثات مقننة بشبه عقلية وفلسفية، روج لها بعض الصوفية المنتسبين لهذا المذهب، مما كان لها أبلغ الأثر في عامة المسلمين.

وتصوف الإمام الصاوي يعد أقرب إلى التصوف السني منه إلى التصوف الفلسفي، فرغم إعجابه بعمر بن الفارض وابن عربي إلا أنه لم يعتقد بفكرة الاتحاد أو وحدة الوجود أوعصمة الأولياء كالأنبياء، وما يترب على ذلك من التحلل من أحكام الشرع، فقد أكد على تفضيل الأنبياء على الأولياء ورأى أن الولاية لا تنال إلا بمتابعة النبي(ﷺ) وأنكر على الصوفية قرع الطبول والمزامير والتغني والرقص وممن يتبركون بالأولياء والصالحين ويعتقدون فيهم الضر والنفع ؛ لأن أساس الطريق وبدايته إلى الله هو سلوك الصراط المستقيم الذي بعث به النبي(ﷺ)، وأفضل العباد من سلك طريق النبي(ﷺ) واتبعه في العبادة البدنية والاجتهادات القلبية، فالولاية عنده ليست إدعاء وإنما هي إتباع.

والإمام الصاوي في تناوله لهذه القضايا كان كثيرًا ما يلجأ إلى تأويل النصوص الدينية تأويلًا يتوافق مع وجهة نظره ؛ فكثيرًا ما كان يفرق بين التفسير الظاهري والتفسير الإشاري، وقصر التأويل على مجموعة من الصوفية أطلق عليهم الخواص وهم علماء الباطن، وجعل علماء الشريعة علماء الظاهر من العوام، الذين ليس لهم اجتهادات في العلم اللدني، ولهذا ارجع فهم الحقائق إلى أهل الولاية، حيث أن مذهبهم هو مذهب أهل الحق، كل ذلك اعتقادًا منه أن للعلم ظاهر وباطن.

وسوف يتناول الباحث هذه القضايا عند الإمام الصاوي، والذي ينتمي إلى التيار الأشعري المتأخر، ولا شك أن الدراسات المتعلقة بالمذهب الأشعري المتأخر تحتاج إلى مزيد من الدراسات، وهذه محاولة من الباحث يدرس فيها التصوف عند الإمام الصاوي، وذلك من خلال منهج تحليلي نقدي.

أولاً: الإمام الصاوي.. حياته ومؤلفاته

ولد الإمام أحمد بن محمد الصاوي في قرية صالحجر بشاطئ النيل من مديرية الغربية بمصر، عام ألف ومائة وخمس وسبعون من الهجرة، يتصل نسبه إلى محمد بن الحنفية بن الإمام على رضي الله عنه، وقد التحق بالأزهر الشريف عام ١١٨٧ه لطلب العلم[١] وقد تتلمذ الإمام الصاوي على عدد من علماء الأزهر الشريف، منهم الشيخ أحمد العدوي المالكي الشهير بالشيخ الدردير**(ت١٢١٥هـ)** والشيخ سليمان بن عمر العجيلي المشهور بالجمل**(ت ١٢٠٤هـ)**، ومن تلاميذه الشيخ أحمد الششتي**(ت١٢٣٥هـ)** الذي ألف كتابًا في أستاذه هو مناقب الشيخ الصاوي [٢] ولقد توفى الإمام الصاوي عام**(١٢٤١هـ)**، بالمدينة المنورة وعمره أربعة وخمسون عامًا [٣].

ألف الإمام الصاوي في التفسير والفقة وعلم الكلام، منها حاشية الصاوي على تفسير الجلالين [*] وتقع في أربعة مجلدات [٤] وهي من أهم مؤلفات الصاوي لاشتمالها على عدد من العلوم منها الفقه، وعلم القراءات، والنحو والبلاغة والتصوف.

ومن مؤلفاته شرح جوهرة التوحيد للقاني وهي منظومة شعرية تحتوي على خلاصة مذهب الأشاعرة في التوحيد والعقائد عدد أبياتها ١٤٤بيتًا، وقد طبعت هذه الحاشية محققه على يد الدكتور عبد الفتاح البزم [٥] ومنها حاشية الصاوي علي الخريدة البهية للشيخ أحمد الدردير، وبين في هذا الكتاب العقيدة على مذهب الإمام أبو الحسن الأشعري [٦] ومنها حاشية الصاوي على الشرح الصغير لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك ويقع في ست مجلدات وهو

---

[١] عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، ج٢، ص١١٢.

[٢] محمد البشير الأزهري: اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، ص٦٤.

[٣] خير الدين الزركلي : الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٤٦.

[*] تفسير الجلالين من المؤلفات العلمية التي احتلت مكانة هامة عند المفسرين، وشهرة واسعة في البلاد الإسلامية، حتى أنه كان يطبع على هامش القرآن الكريم، وتفسير الجلالين هو التفسير الذي وضعه الإمامان جلال الدين السيوطي الشافعي ولد في عام ٨٤٩هـ وتوفى عام ٩١١هـ، وجلال الدين المحلي والذي ولد بمصر عام ٧٩٧ه وتوفى عام ٨٦٤ه، وبرع في الفقه وعلم الكلام والأصول، من مؤلفاته شرح جمع الجوامع في الأصول، وشرح المنهاج في فقه الشافعية، ومنها هذا التفسير انظر: شذرات الذهب، ج٧، ص٣٠٣، ج٨، ص٥١، وكشف الظنون، ج١، ص٤٤٥ والشيخ محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السادسة،١٩٩٥م، ج١، ص٢٣٣، ولقد بدأ التفسير جلال الدين المحلي بسورة الكهف حتى سور الناس ثم وافته المنية، فأكمل جلال الدين السيوطي باقي التفسير.

[٤] حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، تحقيق عبده المنشاوي، دار الحديث، القاهرة د. ت.

[٥] حاشية الصاوي على جوهرة التوحيد، تحقيق عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

[٦] وقد طبع هذا الكتاب مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، د . ت.

مرجع مهم في مذهب الإمام مالك، حيث تمت له الإمامة في الفقه على مذهب الإمام مالك [١] وكتاب الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدردرية، وهو يشرح فيه مجموعة من الصلوات على النبي(ﷺ) وهذه الحاشية مع اختصار عباراتها فقد اشتملت على الحديث عن الآداب والمقامات والأحوال، ونقل في ذلك الكثير عن أئمة التصوف، استشهد فيها بكلام ابن الفارض وابن عربي، محاولًا في ذلك تأصيلها من الكتاب والسنة [٢] ومن مؤلفاته أيضًا شرح منظومة أسماء الله الحسنى، ويصب هذا الشرح في الكشف عن المواجيد الصوفية.

ولقد قام في هذه المؤلفات بتأويل النصوص الدينية، فكثيرًا ما كان يفرق بين التفسير الظاهري والتفسير الإشاري، وقصر التفسير الإشاري على مجموعة من الصوفية يطلق عليهم الخواص، ومنع أهل العلم بالظاهر أي علم الشريعة من الخوض بهذا النوع من التفاسير الصوفية، أي أنه جعل علماء الظاهر من العوام الذين ليس لهم اجتهادات في العلم اللدني، وارجع فهم الحقائق إلى أهل الولاية، وهم من يسميهم بالخواص، فالمراد بالعوام على حد قوله: "علماء الظاهر، وليس لهم خوض في القرآن إلا بالمنطوق، وتكلمهم بالعلوم الإشارية التي هي للخواص فضول منهم" [٣] ورأى أن التمسك بعقائد الإيمان بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية، أصل ضلال الحشوية" [٤] "فمذهب أهل الحق عنده من السلف والخلف هو تأويل الظواهر لوجوب تنزيه الله تعالى" [٥] أي أن تناول الإمام الصاوي للتأويل كان لتنزيه الله تعالى.

---

[١] اسم الكتاب لغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، د . ت.

[٢] اسم الكتاب الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية، تحقيق محمد يوسف، الطبعة الثانية، مكتبة القاهرة،١٤٢٢هه، والصلوات الدرديرية نسبة إلى الشيخ أبي البركات أحمد بن محمد بن أحمد المالكي الأزهري الدردير (ت ١٢١٥هـ) أطلق عليه الصاوي مالكا الصغير، لبراعته في الفقه المالكي، ونهوضه به في وقته.

[٣] الصاوي: حاشية على تفسير الجلالين، ج٣، ص٢٣.

[٤] الصاوي: حاشية على جوهرة التوحيد، ص٢٥٢.

[٥] الصاوي: حاشية على تفسير الجلالين، ج١، ص٣١.

ثانيًا: تعريف التصوف عند الإمام الصاوي:

يعد التصوف عند الإمام الصاوي علم يعرف به إصلاح القلب وسائر الحواس، وهو مأخوذ من الصفا، أي خلص باطنه من الشهوات وصفاه، فعومل بالصفا، فمن أجل ذلك سمي بالصوفي [١] وغاية هذا العلم صلاح القلب وموضوعة الأخلاق المحمدية: "وواضعه هم العارفون، وقضاياه التي يبحث فيها الفناء والبقاء، والمراقبة والمشاهدة، والجلال والجمال" [٢] وهو مستمد من الكتاب والسنة ؛ لأنه نقل عن النبي(ﷺ) علم الظاهر والباطن [٣] لكن هل كان الرسول(ﷺ) بحاجة إلى هذا العلم، وهل كان له(ﷺ) علم ظاهر وعلم باطن؟

من الواضح أن نظرة الإمام الصاوي للتصوف تتفق مع القائلين بأن التصوف علمًا إسلاميًا خالصًا، وأنه يرجع إلى الزهد والعبادة، والذي يرى أن جذوره ترجع إلى الرسول(ﷺ)، ولا يخرج عن: "العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة وجاه ومال، والانفراد لله بالعبادة" [٤] ولكن التصوف الإسلامي قد مر بعدة مراحل خرج فيها عن الزهد والعبادة والانقطاع عن الدنيا إلى التصوف الفلسفي، وإذا كان الإمام الصاوي أعتقد أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن العلم مكتسب ولدني، وأن العلم اللدني أو الباطني لا يتأتى بطريق الاكتساب، فإن هذا قد تبعه تفريقه بين العوام والخواص، واعتقاده أن علماء الظاهر من جملة العوام، وأن فهم الحقائق يرجع إلى أهل الولاية والكرامة، حتى قال عنهم: "أنهم أهل الباطن الذين اشتغلوا بعلم السر" [٥].

ولكن قد أدى تغليب الباطن على الظاهر عند بعض الصوفية إلى إلغاء التكاليف والقضاء على مبدأ المسئولية ؛ لأن من يقولون به لا يعبئون بأعمال الجوارح من صلاة وصيام، وإنما يعولون على أعمال القلوب من خشية ورهبة وتدبر وتأمل، فهم يفهمون النصوص الدينية فهمًا يكاد يهدم الأحكام جميعها فلا يفرقون بين فرض ونافلة، وربما كان النفل أعلى مرتبة ؛ لأنه ثمرة تطوع، في

---

[١] الصاوي: حاشية جوهرة التوحيد، ص٦٩، لقد أرجع الكلاباذي حقيقة التصوف إلى ثلاثة أقوال حيث يقول" قال قوم: إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة، الذين كانوا على عهد رسول الله(ﷺ)، وقال قوم: إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله، بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم بقلوبهم عليه، وقالت طائفة: إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها، ونقاء آثارها، وقال قوم: إنما سموا صوفية للبسهم الصوف" انظر الكلاباذي: التعرف على مذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٦٩م، ص٢١.

[٢] الصاوي : حاشية الخريدة البهية، ص٧٣.

[٣] الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص٦٩.

[٤] ابن خلدون : المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ه، ص٣٢٢.

[٥] الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص٩.

حين أن الفرض مبعثه الإلزام والالتزام، وبلغ الأمر ببعضهم أن قال: "إن الفرائض توصل إلى الجنة، والنوافل توصل إلى صاحب الجنة، وذهب بعض المتصوفة إلى أن شعائر الدين أمور ظاهرة ومجرد رموز لمعان باطنة، وليس للظاهر وزن، إنما الوزن كله لأعمال القلب والباطن"[١]ولقد اتخذت هذه النزعات أشكالًا مختلفة من التحلل بالتكاليف الشرعية وعرف أصحابه بالإباحية[٢]حيث يستبيحون المحرمات ويهملون التكاليف، ولا يستطيع متصوف صادق في تصوفه أن ينكر الفرائض والواجبات ؛ لأنها سبيل الوصول والتقرب إلى الله وكثيرًا ما يتوسع الإنسان في النوافل حبًا في الخير.

ثالثًا: مصادر التلقي المعرفي عند الإمام الصاوي

١ العقل والإلهام

تابع الإمام الصاوي الأشاعرة المتأخرين في التمييز بين العقل والقلب أو الإلهام كمصدرين للمعرفة، حيث أن للعقل دورًا ملحوظًا في المعرفة إضافة إلى الكتاب والسنة، فمعرفة الله تعالى والإيمان به والتصديق بالرسول(ﷺ) مما لا يمكن إدراكه إلا بالعقل، ثم يأتي دليل الشرع ليقرر ما ذهب إليه الدليل العقلي، وهذا ما عبر عنه بقوله: "ما توقف المعجزة عليه وهي الوجود والقدم والبقاء، والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والقدرة والإرادة والعلم والحياة وكونه قادرًا عالمًا حيًا دليلها عقلي، والذي أوجبها هو الشرع، بمعنى أنه إذا جاءنا رسول وقال لنا: أنا مرسل من عند الله، وآية صدقي انشقاق القمر مثلًا، يحتاج إلى استفادة هذه الصفات من العقل أولًا ؛ لأن بهذه الصفات ثبتت المعجزة، وبالمعجزة ثبتت هذه الصفات، فصار كل متوقفًا على الآخر"[٣]

وإذا كان متأخري الأشاعرة قد اعتمدوا على العقل والإعلاء من شأنه كمصدر من مصادر التلقي المعرفي، فإن الإلهام عندهم يعد مصدر آخر من مصادر المعرفة، ولقد جمع الصاوي بين العقل والإلهام في فهم نصوص الكتاب

---

[١] الطوسي : اللمع في التصوف، ص٣٧٢.

[٢] د. مصطفي كامل الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، د. ت، ص١٤٤، ومن هذه الفرق فرقة الحلاجية والتي تقول بإسقاط الوسائط، أي استبدال الفرائض الخمس بأعمال أخرى" د. حنا الفاخوري د. خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ج١، ص٣١٠، انظر أيضًا: د. محمد محمود أبو قحف: التصوف الإسلامي، دار الحضارة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص٢٧٨ أنظر أيضًا:
Oliver leaman : An introduction to medieval Islamic philosophy, P: 34.

[٣] الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص١١، أنظر أيضًا الإمام الجويني : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق د. يوسف موسى، على عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٠م، ص٣٥٨، وعضد الدين الإيجي : المواقف في علم الكلام، مكتبة المتنبى، القاهرة، بدون تاريخ، ص٣٩.

والسنة وفرق بين نوعين من المعرفة الأولى: هي المعرفة العقلية، والثانية: وهي المعرفة الإلهامية، وهذا واضح من قوله: "أعلم أن المعرفة على قسمين: خاصة وعامة، فالعامة هي معرفة الله بالدليل، والخاصة على ثلاثة أقسام، شهود أفعال وهي للأبرار، وشهود أسماء وصفات وهي للأخيار، وشهود ذات وهي لخيار الخيار" [١] والمراد بالعوام عنده: "هم علماء الظاهر، فليس لهم خوض في القرآن إلا بالمنطوق، وتكلمهم بالعلوم الإشارية التي هي للخواص إنما هو فضول منهم وهذه العلوم إنما تكون للأولياء" [٢]

وتقع معرفة الله تعالى عند الصاوي اضطرارًا في قلب العبد بالإلهام، بل إنه يرى:"أن حال العبد في مجال المعرفة الإلهامية تعد أعظم قدرًا من صاحب المعرفة العقلية، فمعرفة العبد لربه نور من الله يقذفه في قلبه، فيدرك أسرار ملكه ويشاهد غيب ملكوته" [٣] "فالقلب إذا دخله النور الإلهي سكن للحق وأطمأن به وإذا تجافى قلب العبد عن دار الغرور وأناب إلى دار الخلود، تهيأ لأن يكون محلاً لهذا الكشف الإلهي" [٤] والكشف هنا منهج ذوقي، وهو إدراك وجداني مباشر، ولا سبيل إلى تحصيله بالعلم بل بالذوق والسلوك، إنه نور يقذفه الله في قلب الصوفي [٥] وهذا ما عبر عنه الإمام الغزالي بقوله:"أعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الدينية دون العلوم التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون، والبحث عن الأقاويل بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، وإذا تولى آلة القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن القلب حجاب العزة بلطفة الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية، ولم يكن ذلك بنظم دليل، وترتيب كلام بل بنور يقذفه الله تعالى في الصدور، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة"[٦] كذلك معرفة الله تعالى عند الإمام الصاوي تحصل

---

[١] الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص١٢.

[٢] المصدر نفسه، ص١٣.

[٣] الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص١٤ يتضح هذا من أقوال الصوفية ذاتهم عن العقل، فلقد ذهب ابن عطاء الله السكندري إلى أن "العقل آلة العبودية، لا للإشراف على الربوبية" الكلاباذي: التعرف على مذهب أهل الحق، ص٢١٢، وهذا ما جعل أبو الحسن النوري يعتقد أن الطريق إلى الله تعالى هو الله نفسه، ولقد أجاب حينما سُئل بما عرفت الله ؟ فقال بالله، قيل فما بال العقل ؟ قال: العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله" أنظر المصدر نفسه، ص٧٩، أيضًا الطوسي : اللمع في التصوف، ص٦٣.

[٤] د. أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٦٣م، ص٢٥٤ انظر أيضًا د. عبد الفتاح أحمد فؤاد : فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص٢٧٥.

[٥] الغزالي : إحياء علوم الدين، إحياء علوم الدين، طبعة القاهرة، ١٣٣٤هـ، ج٤، ص١٤.

[٦] الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق على بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٣م، ص٢٢.
The new Encyclopedia Britannica,vol.15,p:605.

عنده: "بلا قصد أو دليل فهي ضرورية لأهل الكشف والبصيرة، ونظرية لأهل الدليل" [١] وهي نور من الله يقذفه في قلب العبد، فيدرك أسرار ملكه، ويشاهد غيب ملكوته[٢] إذن تعد معرفة الله تعالى فطرية في النفس الإنسانية وهي ضرورية لأهل الكشف والبصيرة النيرة، ونظرية لأهل الدليل[٣] وقول الإمام الصاوي أن معرفة الله تحصل بغير دليل إنما يدل على أنه يعتبر الكشف أو الذوق من أهم الطرق التي تؤدي إلى معرفة الله، ومع ذلك فهو لا يهمل النظر كدليل على معرفة الله[٤] فالنظر في معرفة الله واجب إجماعًا، "والاختلاف في طريق ثبوته، عند أصحابنا السمع، وعند المعتزلة العقل" [٥] لذا فإن من ترك النظر وهو قادر عليه يكون آثمًا [٦] لذا لا يستبعد الإمام الصاوي الاستدلال بالعقل على وجود الله، وذلك من خلال النظر في العالم، فالعالم عنده: "جائز عليه العدم، وكل ما جاز عليه العدم استحال عليه القدم، إذن العالم استحال عليه القدم"[٧] فالعالم إذن حادث، والحادث لابد له من محدث وهذا المحدث هو الله تعالى، وهو واجب الوجود، إلى آخر الصفات التي يتوقف عليها الإيجاد" [٨] وفي تفسيره لقوله تعالى:**﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾** [٩] يقول: "المراد بالظن خلاف التحقيق فيشمل الشك والوهم، وهذا الكلام في حق الكفار الذين اتبعوا غيرهم في الكفر، وقلوبهم فيه مرض، أما المؤمن الذي امتلأ قلبه بالإيمان، حيث عجز عن قيام الأدلة على التوحيد، وقلد العارف فيه فليس من هذا القبيل، بل هو مؤمن جزمًا، لأنه ليس عنده ظن، بل جزم مطابق للواقع، وربما إن دام على الصدق ومتابعة من يقلده يرتقي في التوحيد إلى مقام أعلى وأجل من مقام من قلده" [١٠] حتى يصل إلى الكشف وهنا يكون الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية.

---

[١] الصاوي: حاشية الخريدة البهية، مطبعة الحلمية، وكالة الركشي، الطبعة الأولى، د. ت، ص٣٩.

[٢] الصاوي: حاشية جوهرة التوحيد، ص١٤.

[٣] الصاوي : حاشية الخريدة البهية، ص٣٩.

[٤] الصاوي: حاشية على تفسير الجلالين، ج١، ص١٢.

[٥] الإيجي : المواقف في علم الكلام، ج١، ص٤٥.

[٦] الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص١٤.

[٧] الإمام أحمد الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص١٦.

[٨] المصدر نفسه، ص١٦ وأنظر أيضًا الرازي: معالم أصول الدين، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، الكليات الأزهرية، القاهرة، د . ت، ص٢٨، والشهرستاني : نهاية الإقدام في علم الكلام، ص٩٠.
Seyyed Hossein Nasr : An Introduction to Islamic Cosmological Doctrines, Britain, 1978 ,p:122

[٩] سورة يونس، آية : ٣٦.

[١٠] الصاوي: حاشية على تفسير الجلالين، ج٢، ص٣٩.

٢ الوحي والإلهام

وإذا كان الإمام الصاوي فرق بين العقل والقلب كمصدرين للمعرفة، فإنه قد فرق بين الوحي والإلهام، وذهب إلى أن الوحي هو:"الإرسال من الله لعبده بالأحكام" [١] وهو أقسام: إما أن يكون بواسطة ملك كجبريل عليه السلام، أو من الله بغير واسطة كما وقع لموسى عليه السلام، أو بإلهام يقع على القلب أو بالمنام" [٢] ويستشهد الإمام الصاوي بالآيات القرآنية لتوضيح الفرق بين الوحي والإلهام في قوله تعالى:﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ**﴾ [٣] وقوله تعالى:﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ**﴾ [٤] فهذه الآية تتناول وحي الأنبياء وإلهام غيرهم [٥] فرؤيا الأنبياء وحي وذلك مثل ما وقع لسيدنا إبراهيم حين أمره الله بذبح ولده إسماعيل في المنام، وكذلك لرسول الله(ﷺ) حين رأى أنه يدخل مكة فصدق الله رؤياه، أما الإلهام فإنه الإلقاء في القلوب لا بواسطة ملك، وقد يقع لغير الأنبياء كالأولياء، غير أن إلهام الأولياء لا مانع من اختلاط الشيطان به؛ لأنهم غير معصومين بخلاف الأنبياء" [٦]

وهنا نجد تفرقة عند الإمام الصاوي بين الأنبياء والأولياء، وأساس هذه التفرقة العصمة:"حيث تكون العصمة للأنبياء فقط دون الأولياء؛ لأن الأولياء يجوز عليهم الخطأ ويجوز في حقهم الوقوع في الذنب؛ لأنهم دون مرتبة الأنبياء، وليس بعد الرسول(ﷺ)أحد معصوم من الخطأ والذنب حتى ولو كان من الصحابة أو التابعين، فالعصمة ليست حقًا مطلقًا للأولياء ولكنها للأنبياء فقط" [٧] ومهما ترقى الولي في مراتب القرب من الله وكانت درجته في الولاية

---

[١] المصدر نفسه، ج٤، ص٤٢ والوحي عند ابن منظور هو: "الإشارة والرسالة والكتابة، وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه، ثم غلب استعماله فيما يلقى إلى الأنبياء" انظر ابن منظور: لسان العرب، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٠٢ه، ج١٥، ٢٧٨.

[٢] الصاوي : حاشية الخريدة البهية، ص٣٩.

[٣] سورة النحل : أية ٦٨.

[٤] سورة الشورى، آية : ٥١.

[٥] الصاوي: حاشية على تفسير الجلالين، ج٤، ص٤٢ والإلهام في اللغة التلقين يقال: ألهمه الخير، لقنه إياه، قال تعالى:﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ سورة الشمس: آية:٨ وهو عند الأصفهاني إلقاء الشيء في الورع، ويختص ذلك بما كان من جهة الله تعالى" انظر المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص٤٣٢، ولقد ذهب ابن القيم إلى أنه موهبة لا تنال بكسب، والرؤيا عنده كالكشف، ورؤيا الأنبياء وحي، ولهذا أقدم الخليل على ذبح أبنه إسماعيل عليهما السلام بالرؤيا، والكشف الصحيح أن يعرف الحق الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به كتبه معاينة لقلبه" انظر ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق عبد الله عبد السميع، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ج٣، ص٣١٤ ويعد الكشف عند الجرجاني :" الاطلاع على ما وراء الحجاب، من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وعدمًا"انظر الجرجاني: التعريفات تحقيق د.عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة،١٩٩١م، ص١٨٦.

[٦] الصاوي: حاشية على تفسير الجلالين، ج٤، ص٤٢ .

[٧] القشيري : الرسالة في التصوف، ص٢٤٠.

فإن العصمة المطلقة لن تكون هي حاله، إذ الأولياء شأنهم شأن عباد الله يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم[١] كذلك يجوز أن يخفى عليهم من أمور الشريعة ما يخفى على غيرهم، وإن كان عالمًا مجتهدًا، ويجوز أن يشتبه عليهم من أمور الدين ما يشتبه على غيرهم إذ لا عصمة لهم[٢] أي أن الأولياء مهما بلغوا من كمال العبادة والطاعة لله إلا أنهم دون مرتبة الأنبياء، بل لابد لهم لكي يصلوا إلى درجة الكمال الروحي من الإتباع الكامل للأنبياء ظاهرًا وباطنًا، فمهما بلغ شأنهم في العبادة والطاعة والكمال إلا أنهم يظلون دون مرتبة الصحابة والتابعين، ولا شك أن قول الإمام الصاوي بالعصمة للأنبياء دون الأولياء يخالف فيه كثير من الصوفية ممن ينسبون العصمة للولي، وما يترب على ذلك من التحلل من أحكام الشرع، أي أن تصوفه يعد أقرب إلى التصوف السني منه إلى التصوف الفلسفي.

رابعًا: التوسل بالأنبياء والصالحين

من أهم سمات التصوف الإسلامي التعلق بالذات المحمدية، لذا فإننا نجد الإمام الصاوي يعتقد أن النبي(ﷺ) أصل كل خير: "وما من نعمة إلا وكان(ﷺ) السبب في وصولها إلينا، فجميع خيرات الدنيا والآخرة تغترف من النبي(ﷺ) كما يغترف من البحر"[٣] وقد خُلق النبي(ﷺ) من نور الذات العلية، من غير واسطة مادة، فالله كان في أزله لم يعرف لعدم وجود من يعرفه فأحب أن يعرف، فقبض قبضة من نوره أي بذاته، وهذا المقبوض المسمى بالنور المحمدي وبروح الأرواح"[٤] والنبي(ﷺ): "حجاب بين الله وبين خلقه، فلا يمكن لأحد أن يصل إلى الله إلا بواسطته، فهو مانع المضار الدنيوية والأخروية عن أمته، ووصفه بالأعظم ؛ لأن الأنبياء حُجب أيضًا لأممهم فهو أعظمهم، وإذا كان الشيخ حجاب لتلاميذه فتلك حجب خاصة، فإن المصطفى(ﷺ) هو الحجاب الكلي، ويسمى بالبرزخ الكلي، لكونه حجابًا وبرزخًا بين الخلق وربهم"[٥] وما من نعمة لله علينا سابقة أو لاحقة من نعمة الإيجاد والإمداد في الدنيا والآخرة إلا وكان النبي(ﷺ) السبب في وصولها إلينا، فهو الملقن لكل العلوم الغيبية التي نشأت عن الله سبحانه وتعالى ومحل نبع علوم الأولين والآخرين"[٦] ولاشك أن شدة حب الإمام الصاوي للنبي(ﷺ) قد جعلته يصف النبي(ﷺ) بأنه يعلم الغيب ولولاه ما وجد الله الدنيا ولا الآخرة، وهذا ما لا يتفق مع قول النبي(ﷺ)

---

[١] د. أحمد محمود الجزار : الولاية بين الجيلاني وابن تيمية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٣٠.
[٢] د. محمد سيد الجليند : من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٣٩.
[٣] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص٨٩.
[٤] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص٣٥.
[٥] المصدر نفسه، ص٣٦.
[٦] المصدر نفسه، ص٣٧.

حينما قال في حديث صحيح:﴿لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله﴾ [١] وهذا ما أقره الله سبحانه وتعالى في كتابه حين قال:﴿**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً**﴾[٢] ولكن الإمام الصاوي ذهب إلى أن النبي(ﷺ) يعلم الغيب: "والذي يجب الإيمان به أن رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله جميع الغيبيات التي تحصل في الدنيا والآخرة حتى علم الساعة"[٣] ويصف النبي(ﷺ) بأنه مخلوق من نور ذات الله، وهو يقول في هذا الصدد: "محمد النور الذاتي، أي نور ذات الله، فهو الذي خلقه الله بلا مادة ؛ لأنه مفتاح الوجود، ومادة لكل موجود، فهو ممد لجميع ذوات الخلق وصفاتهم"[٤] فالنبي(ﷺ) قد احتوى على صفات جمالية ظاهرية وباطنية لا تدخل تحت حصر، وكذلك صفات جلالية أيضًا، فيكفينا في جماله وجلاله قوله عز وجل فيه﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [٥] وقوله:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [٦]

الآراء الصوفية عند الإمام الصاوي

ومعلوم أن من ذاق لذة وصال المصطفى ذاق لذة وصال ربه ؛ لأن الحضرة واحدة، ومن بلغ الوسيلة شهد المقصد، ومن فرق بين الوصالين لم يذق للمعرفة طعمًا، وإنما العارفون تنافسوا في محبة الله ورسوله، فمنهم من طلب الوصال بالتغزل في الوسيلة كالإمام البوصيري **(ت ٦٩٦هـ)** ومنهم من طلبه بالتغزل في المقصد كابن الفارض، وإذا كان من أعظم أسباب الوصل التعلق بصفات الحبيب وبكثرة الصلاة عليه حتى يصير خياله بين عينيه أينما كان، وضع صاحب دلائل الخيرات صورة الروضة الشريفة لينظر فيها عند صلاته على الحبيب، فينتقل مما فيها إلى تصور ما فيها، فإذا كرر ذلك مع كثرة الصلاة صار المخيل محسوسًا"[٧] ويستشهد بقول عمر بن الفارض حيث يقول: "وقال سيدي عمر بن الفارض نفعنا الله به، حين كُشف له عن الجنة وما أعُد له فيها :

إن كان منزلتي في الحب عندكم **** ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي [٨]

كما أنه يستشهد ببعض الأبيات الموجودة بالبردة للإمام البوصيري حيث يقول:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به **** سواك عند حلول الحادث العمم

إن من جودك الدنيا وضرتها **** ومن علومك علم اللوح والقلم[٩]

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، رقم الحديث ٣٤٤٥.
[٢] سورة الإسراء : آية : ٩٣.
[٣] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص٣١.
[٤] المصدر نفسه، ص٩٤.
[٥] سورة القلم، آية : ٤.
[٦] سورة الأنبياء، آية : ١٠٧.
[٧] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص٤٩.
[٨] المصدر نفسه، ص٥١.
[٩] البوصيري : البردة، ديوان البوصيري، تحقيق أحمد بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ه، أبيات ١٦٦ :١٧٠.

كما ذهب الإمام الغزالي من قبل إلى أن:"من نظر في أقوال الرسول(ﷺ) وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق وتلطفه في حق الناس بأنواع اللين واللطف إلى تحسين الأخلاق وإصلاح ذات البين، وبالجملة إلى ما يصلح به دينهم ودنياهم، حصل له علم ضروري بأن شفقته على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده، وإذا نظر إلى عجائب ما ظهر عليه من الأفعال وإلى عجائب الغيب التي أخبر عنها في القرآن على لسانه وفي الأخبار وإلى ما ذكره في آخر الزمان، علم علمًا ضروريًا أنه بلغ الطور الذي وراء العقل وانفتحت له العين التي ينكشف منها الغيب والخواص والأمور التي لا يدركها العقل، وهذا هو منهاج يحصل به العلم الضروري بصدق النبي(ﷺ)"[١] ويتابع الصاوي الإمام الغزالي في تقريره صدق دلائل نبوة الرسول(ﷺ) وذلك بالمعجزات والقرآن، فهذه أمور واضحة نيرة في صحة نبوته(ﷺ) [٢] ومما يجب علينا اعتقاده: "أن الله أعطى نبيه محمد(ﷺ) معجزات أي خوارق للعادات كثيرة لا نهاية لها، ومن معجزاته أنه قد أسري به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وانشقاق القمر إلى نصفين وتسبيح الجماد في كفه، لما ورد أنه قبض على حصيات في كفه فسبحن حتى سمع لهن حنينًا كحنين النحل، ثم ناولهن إلى أبى بكر فسبحن، ثم ناولهن إلى عثمان فسبحن، ثم وضعهن على الأرض فخرسن، ففي ذلك كرامة إلى الصحابة أيضًا" [٣]

كذلك يجب اعتقاد أن النبي(ﷺ) أنه شافع مشفع وهو مقدم على غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، وله شفاعات أعظمها الشفاعة في فصل القضاء، وهي مختصة به قطعًا ؛ لأن الناس في ذلك الوقت يذهبون إلى الرسل من آدم إلى عيسى فردًا فردًا، فيسألونهم الشفاعة والانصراف من ذلك الموقف، فكل يبدي حجة إلى أن يذهبوا إليه(ﷺ) يسألونه الشفاعة فيقول: "أنا لها أنا لها، فيسجد تحت العرش، فيقول له الله: أرفع رأسك، وأشفع تشفع، فيرفع رأسه وهذا هو المقام المحمود ؛ لأنه من حينها يكثر حمد الناس له، وثاني الشفاعات في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهي مختصة به أيضًا، ويشفع غيره كالأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والأولياء والأطفال" [٤] إذن الشفاعة تكون للأنبياء والملائكة والأطفال والشهداء والصالحين، فلقد قال رسول

---

[١] الغزالي : إحياء علوم الدين، ج٣، ص٢٣.

[٢] الصاوي : حاشية الجلالين، ج٢، ص١٣٥ والإمام الصاوي يعرف المعجزة بأنها: "مشتقة من الإعجاز، وهو إثبات العجز في الغير.. ثم نقلت للأمر الخارق" انظر الإمام الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج٢، ص١٣٦ أيضًا: حاشية الصلوات الدرديرية، ص٥٥.

[٣] الصاوي: حاشية الصلوات الدرديرية، ص٥٥.

[٤] الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص٦٥.

الله(ﷺ): "فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج قومًا قد حشروا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة" [١]

لهذا يرى الإمام الصاوي مشروعية التوسل بالنبي(ﷺ) والصالحين سواء كانوا أحياء أو أموات، ويذهب إلى أن: "الالتجاء إلى المخلوق من حيث أنه مهبط الرحمات كمواصلة أل البيت والأولياء والصالحين فهو مطلوب وهو في الحقيقة التجاء للخالق، تقرير ذلك أن الله أمرنا بالجلوس في المساجد والطواف بالبيت وقيام ليلة القدر ونحوها، وما ذلك إلا للتعرض للرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان فلا فرق بين الأشخاص وغيرهم، فهم مهبط الرحمات لا منشؤها" [٢] شريطة أن لا يعتقد في أحدهم إمكان التصرف على جهة الاستقلال، وأن ما يحصل من النفع عند وصولهم كان نتيجة لإدامتهم فعل الطاعات والذكر، فيرتقوا في المقامات حتى يصلوا إلى رتبة التصريف الكوني بأمر الله، فيقول أحدهم للشيء كن فيكون" [٣] "فلا بأس من دعاء الصالحين والاستعانة بهم" [٤]

إذا كان الإمام الصاوي يعتقد بضرورة التوسل بالأولياء والصالحين لنيل البركة، فإنه لا يعتقد فيهم الضر أو النفع، ويصف من يعتقد ذلك بأنهم ضعاف الإيمان، فهم على حد قوله: "يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون وينفعون بذواتهم، ويحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله، ويجعلون تلك البدع طرقًا لهؤلاء الأولياء، ويزعمون أنها منجية وإن كانت مخالفة للشرع" [٥]

أي أنه ينكر حال الكثير من المتصوفة ممن يتبركون بالأولياء والصالحين ويعتقدون فيهم الضر والنفع، ويرى أن من يملك النفع والضر هو الله تعالى ؛ لأن اعتقاد البعض بأن بيدهم النفع والضر إنما يدخل الإنسان في دائرة الشرك، فكثير ممن ينتمون إلى الطرق الصوفية قد استحوذ عليهم الشيطان، حيث جعلهم يعتقدون حصول الضر والنفع من هؤلاء الأولياء.

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، رقم الحديث ٧٤٣٩.
[٢] الصاوي: حاشية على تفسير الجلالين، ج٣، ص ٩٠.
[٣] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص١١٠.
[٤] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج٢، ص٩٠.
[٥] المصدر نفسه، ج١، ص٥٩.

خامسًا: المقامات والأحوال(*)

لقد تحدث الإمام الصاوي في كتابه المسمى الصلوات الدرديرية عن كثير من المقامات والأحوال الصوفية، واعتبرها حالة شعورية، حيث يقول: "البقاء في الله والفناء في الله، أخلاق ذوقية لا تعلم إلا بالذوق، والعبارة عنهما لا تفيد شيئًا" (١)

وهو في حديثه عن المقام والحال لا يفصل بينهما، ومن الممكن أن يستخدم الحال بمعنى المقام وهكذا، وهو يقول: "مقام المحبوبين السائرين إلى الله، المستدلين بالصنعة على الصانع، مقام أهل الفناء المحض، الذين غرقوا في توحيد الأحدية، فلم يشهدوا سوى ذات الله، ولما كان هذا المقام مقام سكر، وخروج عن طور البشرية، وعن حدة التكليف، قال في صلاته: انشلني من أوحال التوحيد، مقام أهل البقاء بعد الفناء (*) وهم الذين يشهدون الصنعة بوجود الصانع، لكونهم شهدوا قبل كل شيء ذات مولاهم وصفاته وأسمائه، ومن بلغ هذه المرتبة قد بلغ منابع الصدق مع الله في عبادته، فالعارف يرى الله قبل آثاره ويستدل بالله على ثبوت الآثار، والمحجوب يرى الآثار قبل شهود الله، فيستدل بالآثار على وجود الله، وقد علمت أن من غرق في عين بحر الوحدة ؛ يكون باقيًا بالله، ولا بشيء سوى الله" (٢) لأنه في هذه الحالة: "يشهد وحدة الذات والصفات والأسماء، فهذا المقام لا يدركه الشخص إلا بعد الفناء في الأحدية، ووحدة الوجود يسمى صاحبها في مقام البقاء، ويسمى غرقان في بحر الوحدة، التي هي شهود المولى من حيث قيام الأسماء والصفات به" (٣)

(*) المقامات عند الصوفية هي مدارج العبودية التي يترقى في سلوكها العبد، أو هي مقام العبد بين يدي الله عز وجل، فيما يقام فيه من العبادات" الطوسي: اللمع، ص٥٦، والمقام يتحقق به فيما يذهب الجرجاني: "بضرب تطلب ومقاساة وتكلف، أما الحال فهو ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل ولا اجتلاب، كحزن أو خوف أو بسط، أو قبض أو شوق أو ذوق، ويزول بظهور صفاء النفس" انظر الجرجاني: التعريفات، ص١١٤ ومن الممكن أن ينقلب الحال مقامًا عند الصوفية، وهذا ما ذهب إليه القشيري حين قال:"وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها، فقالوا إنها إذا لم تتوال فهي لوائح وبوادر، ولا يصل صاحبها إلى الأحوال، فإذا دامت تلك الصفة فعند ذلك تسمى حالًا" انظر القشيري: الرسالة القشيرية، بشرح زكريا الأنصاري، مطبعة صبيح، القاهرة، ١٩٧٢م، ص٥٧.

(١) الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص٢.

(*)الفناء وكما يعرفه الجرجاني هو "سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء هو وجود الأوصاف المحمودة" الجرجاني: التعريفات، ص٢١١ أما الكلاباذي فيذهب إلى أن الفناء هو أن يفنى عنه الحظوظ، ويسقط عنه التمييز، فناء عن الأشياء كلها، وشغلا بما فني فيه، والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عما له ويبقى بما لله" الكلاباذي: التعرف على أهل التصوف، ص١٢٤.

(٢) الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج٢، ص٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٩١.

وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة يكون في حضرة الإطلاق، أي الإطلاق من الطبائع الجسمانية وهي:"أن يخرج العبد من أسر الطبيعة،ومن سائر الحُجب الظلمانية، فيسير حرًا لخروجه عن شوائب الرقية، وطلوقًا من طبائعه، ومن كل ما سوى مولاه، باق بربه لا يشهد سواه" [١] "فإن من داوم على ذكره في خلوة مجردًا، شاهد عجائب الملكوت، ويقول للشيء بإذن الله كن فيكون، وهو ذكر الأكابر من أرباب المقامات، وأهل الكشف التام، فإذا قال المريد الله وهو في مقام الذكر شهد أفعاله في خلقه، وإذا قالها ثانيًا شهد الصفات، فيشهد أن الله متصف بكل كمال، وإذا قالها ثلاثة، ارتقى لمشاهدة الذات فيشاهدها بدون الصفات، وهذه هي مرتبة أهل الفناء، وعندما يشاهدها مع الصفات والأسماء يكون في مرتبة أهل البقاء" [٢]

ومقام البقاء عند الإمام الصاوي هو المسمى بمقام الجمع والفرق*[*] فجمعه شهود لربه، وفرقه شهود لصنعه، أما الجمع فهو مقام أعلى من البقاء، وهو أن يأخذه الحق بعد بقائه فيسكره في شهود ذاته تعالى، فإن دام له الشهود يقال له وصل الوصل أي الوصل الكامل، وهو تلذذ القلب بشهود الحق بعد زوال الحُجب الظلمانية والنورانية" [٣]

أي أن العبد إذا استغرق في مقام الفناء، فإنه يصل إلى مقام البقاء حتى يتمكن من شهود ذات الله تعالى متصفة بالأسماء والصفات، وبالتالي فإن أفعاله تصير مرادة للحق، وصاحب المقام المستغرق في الذكر هنا وكما يذهب الإمام الصاوي يقول للشيء كن فيكون بإذن الله، ولكن هذه الكلمة هي ما أختص الله ذاته بها لتمام ربوبيته، وهذا لا يكون إلا لله تعالى، فسيدنا عيسى عليه السلام كان يشفي الأكمه والأبرص بإذن الله، ولم يثبت أنه قال بهذه الكلمة، "كن فيكون" عند فعل هذه الأمور إنما كان يدعو الله، فيتحقق الفعل، وهو ما ثبت لنبينا محمد(ﷺ) من معجزات، وهي أفعال لله تعالى أيد بها عباده المرسلين.

---

[١] المصدر نفسه، ج٢، ص٩٣.

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص٩٢.

[*] يقول عبد الرازق الكاشاني في معنى الجمع هو: "شهود الحق بلا خلق، وجمع الجمع شهود الخلق قائما بالحق، ويسمى الفرق بعد الجمع" انظر الكاشاني: اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد الخالق محمود، دار المعارف، القاهرة،الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ص٦٥، أما عن جمع الجمع فهو مقام أتم وأعلى من الجمع، وهو كما يطلق عليه مرتبة الأحدية، يقول الجرجاني: "الأحدية إذا أخذت حقيقة الوجود بشرط ألا يكون معها شيء، فهي المرتبة المستهلكة جميع الأسماء والصفات، فهي تسمى جمع الجمع". انظر التعريفات، ص١٠٩.

[٣] الصاوي: حاشية على تفسير الجلالين، ج٢، ص٩٠.

سادسًا: التأويل الصوفي عند الإمام الصاوي

ولاشك أن الإمام الصاوي قد استخدم التأويل في تقرير مبادئه وتأصيلها مثل المقامات والأحوال والعهد والطريقة، فلقد استدل على المقامات بالحديث القدسي، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، إلى أن الحديث يشير إلى مقام السائرين، فهو يشير إلى مقام الفناء المحض بقوله: "حتى أحبه"، وإلى مقام البقاء بقوله : "فإذا أحببته كنت سمعه"، ومعناه كنت مشهودًا قبل سمعه ومسموعه، وبصره ومبصره، ويده وبطشها، ورجله ومشيها، لكونه يشهدني قبل كل شيء، وهذه آثاري لا ترى له إلا بعد شهودي، وهو معنى قول بعض العارفين:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وقوله آثارنا هنا تعنى أمرنا بالسير لمن يستدل بالصنعة على الصانع، وقوله فانظروا بعدنا، أي بعد الفناء فينا بسيركم إلينا إلى الآثار، أي فشهدوا آثارنا بعد شهودنا، وهذا هو مقام البقاء" [١]

أي إن الإمام الصاوي يستدل على مقام الفناء والبقاء من الحديث الشريف، فجعل التقرب إلى الله تعالى هو سبيل السائرين، وجعل مقام الفناء في استحقاق المحبة، وذلك في قوله حتى أحبه، ومقام البقاء في قوله كنت سمعه وبصره، أما الفناء المطلق فيما يرى الإمام الصاوي: "فهذا يشهده العارفون، فإذا شهده العارف ذاب من خشية الله، وخاف حتى من أعماله الصالحة، وهو الذي قال فيه صاحب ورد السحر: إلهي إني أخاف أن تعذبني بأفضل أعمالي، فكيف لا أخاف وأن تعذبني بأسوأ أعمالي، وقال عمر بن الخطاب**(رضي الله عنه)**: ليت أم عمر لم تلد عمر" [٢] واستشهد بقوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** [٣] بأن قول سيدنا إبراهيم**(عليه السلام)** رب أجعل هذا البلد، يقتضي أنه كان دأبه الدعاء، وما ورد من قوله حين ألقي في النار حسبي من سؤالي علمه بحالي، يقتضي أنه لم يكن دأبه الدعاء، فما السر في ذلك؟

يجيب الإمام الصاوي بقوله: "بأن سيدنا إبراهيم**(عليه السلام)** كان في زمن إلقاؤه في النار في مقام الفناء والسكر، وهو الغيبة عن شهود الخلق بشهود الحق، فلا يشهد أثرًا، فهو في مقام البقاء، وجمع الجمع، وهو البقاء بالله، بمعنى

---

[١] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص٣٦.
[٢] المصدر نفسه، ص٩٠.
[٣] سورة البقرة آية : ١٢٦.

شهود الآثار، بعد شهود مؤثرها، فمقامه في حال دعائه أعلى وأجل من مقامه في حال تركه له، ولا يقاس بمقامات الأنبياء مقام، بل بدايتهم أعلى وأجل من نهايات غيرهم، فالأولياء وإن عظموا لا يصلون لأدنى رتب الأنبياء" [١]

لكن هل كان إعراض سيدنا إبراهيم**(عليه السلام)** عن الدعاء وهو في النار بسبب أنه كان في مقام الفناء، أعتقد أن هذا الرأي الذي يذهب إليه الإمام الصاوي غير صحيح، فمن المعلوم أن الدعاء ينقسم قسمين: دعاء مسألة ودعاء عبادة، وكل منهما متضمن للآخر، قال تعالى﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [٢] وهاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء، دعاء العبادة ودعاء المسألة، "وهما متلازمان فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه، وكل من يملك الضر والنفع فهو المعبود حقًا، والمعبود لابد أن يكون مالكًا للنفع والضر، فهو يدعي للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعي خوفًا ورجاء دعاء العبادة ؛ فعلم أن النوعين متلازمان، فدعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة" [٣] والقرآن كله فيما يرى ابن تيمية مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به، والناس يتفاضلون في تحقيقه، وحقيقته إخلاص الدين كله لله، والفناء على حد قوله في هذا التوحيد مقرون بالبقاء "وهو أن تثبت إلهية الحق في قلبك، وتنفي إلهية ما سواه، فتجمع بين النفي والإثبات، فتقول لا إله إلا الله، فالنفي هو الفناء، والإثبات هو البقاء، وحقيقته أن تفني عبادته عما سواه، وبمحبته عن محبه ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبموالاته عن مولاة ما سواه" [٤]

ولكن إذا كانت كل عبادة لله تعد دعاء، فقد تبين أن التوكل دعاء، والاستعانة دعاء، والرجاء دعاء والذكر دعاء، فإنه لا يصح مع ذلك ترك الأخذ بالأسباب اعتمادًا على هذه العبادات في تحصيل النفع، فسيدنا إبراهيم**(عليه السلام)** لما فعل الأسباب المأمور بها، ولم يعجز بتركها، وغلبه عدوه وألقوه في النار، قال

---

[١] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج٢، ص٢٧٦.
[٢] سورة الأعراف آية : ٥٥ ٥٦.
[٣] ابن القيم : بدائع الفوائد، ج٣، تحقيق هشام عطا، مكتبة الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى،١٤١٦ه، ص١٥٣.
[٤] ابن تيمية : منهاج أهل السنة، ج٥، ص٣٤٥.

في تلك الحال: "حسبي الله ونعم الوكيل"، فوقعت الكلمة في موقعها، واستقرت في مظانها، فأثرت أثرها، وترتب عليها مقتضاها" [١]

وإذا كان سيدنا إبراهيم**(عليه السلام)** في حالته تلك مفوضًا الأمر لله، وهذا أعلى مقام العبادة ؛ فإنه لا يصح نسبة السكر والغيبة إليه كما قال الإمام الصاوي ؛ لأنه في هذه الحالة يكون في حال نقص، ولهذا فإن الإمام الصاوي قد جعل حال الأنبياء أفضل وأكمل من حال الأولياء، وهو بهذا قد خالف الكثير من المتصوفة في تفضيلهم الأولياء على الأنبياء.

سابعًا: مجاهدة النفس

إن مجاهدة النفس عند الصوفية تكاد تكون مرادفة للقهر أو القتل ؛ ذلك لأن النفس تصبو إلى اللذة والشهوة وهي أمارة بالسوء لا تتلذذ إلا بالمعاصي والمخالفات، والطاعة خلاف سجيتها وطبيعتها، لذا يجب على الإنسان عدم تلبية رغباتها ؛ لأنها وكما يقول الإمام الغزالي: "داعية إلى الراحة والعصيان، وقد خلقت أمارة بالسوء مبالغة في الشر، فرارة من الخير، ولا يمكن مجاهدتها إلا بسلاسل القهر، ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاته" [٢]

لذا اعتبر الصوفية النفس الإنسانية العائق في سبيل تحقيق العبودية الكاملة والوصول إلى الله لذلك كانوا حريصين على كبح جماحها والفناء عنها بالكلية، وذلك عن طريق موتها وكسر سلطانها، وإماتة شهواتها، وذلك لكي يتحقق الكمال الروحي للصوفي وتتحقق مرتبة الوصول إلى الله، فمقام الوصول عند الإمام الصاوي ينال: "بطريق المجاهدة على يد شيخ عارف التزم معه الشروط والآداب" [٣] وهذه المقامات لا يتم الترقي فيها إلا بالمجاهدة حتى ننزع من

---

[١] ابن القيم : بدائع الفوائد، ج٣، ص١٥٤.

[٢] الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٤، ص٣٨٢، لقد اعتبر الإمام الغزالي"النفس الإنسانية أضر الأعداء، وبلاؤها أصعب بلاء، ودواؤها أصعب الأشياء؛ لأنها أصل كل فضيحة وقبيحة" انظر الغزالي: منهاج العابدين، تحقيق د. خالد أحمد حسنين، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى،٢٠٠٧م، ص٢٢٩، كذلك اعتبرها الإمام الترمذي(ولد عام ٣٢٠ ه): "موطن الهوى ومرتع الشهوات، ولا تهدأ ولا تستقر مضطربة دائمًا، تموج بكثير من النزعات الشيطانية" أنظر د. سعيد مراد: التصوف الإسلامي رياضة روحية خالصة، دار عين للدراسات الإنسانية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٦٥، بل هي كما يذهب ابن عجيبة أصعب من الشيطان، لأنها عدو متصل، فهي أقبح من سبعين شيطانًا في قطع الطريق" ابن عجيبة : إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ص٤٠٣ ونظر إليها أبو سعيد بن أبي الخير على أنها: "صديق السوء الذي يجب الخلاص منه، والفناء عنه بالكلية، بل السجن الذي طالما تهتم به فلن تجد الراحة قط، أما إذا خرجت منها وقعت في راحة أبدية ووصلت إلى المعرفة بالله، ولا يكون ذلك إلا بموتها وقتلها" انظر القشيري: الرسالة في التصوف، ص٤٧ أيضًا د. أحمد محمود الجزار: المعرفة عند أبي سعيد بن أبي الخير، منشأة المعارف، الإسكندرية،٢٠٠٠م، ص٣٠، والمقصود بالموت هنا هو الموت المعنوي، وهو مخالفة النفس في أهوائها وأغراضها.

[٣] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية ، ص٦٧.

قلوبنا حب الشهوات، المبعدة عن الحضرة الإلهية [١] وطريق الخلاص من حُجب النفس واجبًا على كل مريد، وكمال النفس وخلاصها لا يحصل إلا بتجليات الأسماء، وهذا لا يتم إلا بالإكثار من الذكر وعلى حسب الطريقة الخلوتية كما ذهب الإمام الصاوي: "فلقد وضعت الطريقة الخلوتية أسماء سبعة للنفس الإنسانية، ورأت أن كمال النفس وخلاصها من تلك الحجب لا يكون إلا بتجليات تلك الأسماء؛ لأنهم قسموا النفس إلى سبعة أقسام: أمارة، ولوامة، وملهمة، ومطمئنة، وراضية، ومرضية، وكاملة" [٢]

ويرى في وصفه لهذه النفوس أنهم:"أخذوا الأمارة من قوله تعالى: **﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾** [٣] وهي نفوس الفساق لا تأمر بخير أصلا، واللوامة من قوله تعالى:**﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾** [٤] وهي تأمر بالمعاصي، لكن تلوم صاحبها وتتوب، والملهمة من قوله تعالى:**﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** [٥] وهي التي ألهمت عيوبها، فلا ترى لها تقوى ولا عملًا، وصاحبها في مقام السكر، والنفس المطمئنة والراضية والمرضية من قوله تعالى:**﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾** [٦] والكاملة من قوله تعالى:**﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾** [٧] وسميت مطمئنة لرجوعها لمقام البقاء لربها [٨]

---

[١] المصدر نفسه، ص٦٨.

[٢] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية ، ص٨٥، والطريقة الخلوتية، نسبة إلى الخلوة الصوفية، وهي أحدى الطرق الصوفية السنية نسبة إلى محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتى، المتوفى في مصر سنة ٩٨٦ ه، وهو من أئمة الصوفية في خراسان في القرن العاشر الهجري، وكان من أتباع الطريقة السهروردية ثم استقل بطريقته، وتفرغ لجمع الأتباع وتعليم المريدين، ومن فروعها في مصر الشبراوية وشيخها محمد عبد الخالق الشبراوي، والصاوية وشيخها الإمام أحمد السيد الصاوي، والقصبية وشيخها: عبد الهادي أحمد القصبي، والغنيمية وشيخها: أبو الوفا التفتازاني، والطيبية وشيخها أحمد الطيب جد الإمام أحمد الطيب شيخ الأزهر، وكان من أتى بالطريقة الخلوتية إلى مصر الشيخ أبو بكر الحداد، وكان من رموزها الشيخ أحمد بن محمد العدوي، الشهير بأبي البركات الدردير، وهو من أئمة الخلوتية وفقهاء المالكية، ولد في صعيد مصر سنة ١١٢٧ه، وتولى الإفتاء بمصر ومشيخة الطريقة الدرديرية الذي تفرعت من الخلوتية، وتوفي سنة ١٢٠١ه، ودفن بمسجده بالغورية من أحياء القاهرة القديمة، ولقد كان الشيخ أحمد الدردير عالمًا وله مؤلفات كثيرة منها: شرح المختصر وهو شرح علي أحد متون الفقه المالكي، وأقرب المسالك لمذهب مالك، ومتن الخريدة البهية في علم التوحيد، وتحفة الإخوان في آداب أهل العرفان في التصوف.

[٣] سورة يوسف، آية : ٥٣.

[٤] سورة القيامة، آية : ٢.

[٥] سورة الشمس، آية : ٨.

[٦] سورة الفجر، آية : ٢٧ ٢٨.

[٧] سورة الفجر، آية : ٣٠.

[٨] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية ، ص٨٥، لاشك أن تقسيم الإمام الصاوي للنفس الإنسانية إلى، أمارة ولوامة ومطمئنة، يتماشي مع تقسيم أفلاطون للنفس الإنسانية، فالنفس المطمئنة هي النفس العاقلة، والنفس الأمارة هي النفس الشهوانية، والنفس اللوامة هي النفس الغضبية، وجميع الأخلاق تصدر عن هذه القوي .انظر أفلاطون: محاورة جورجياس، ترجمة حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، د. ت، ص٥٠٦، وولتر ستيس : تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة د. مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع،=

وسكونها للمقادير لشهودها الحق في الآثار فترى كل شيء جميلًا، "فلذلك كان أول قدم يضعه المريد في الطريق هو الوصول إلى مقام البقاء، وقبله كان مريدًا، ولم يكن من أهل الطريق، فإذا استمرت تلك الطمأنينة كانت راضية، فيكون مرضيًا عليها من جانب الله ؛ لأن من رضي له الرضا، فإذا استمرت تجلى عليها الحق بشهود الذات فضلًا منه وإحسانًا، وهي الكاملة، وهذا إشارة لقوله تعالى: **﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾** أي جنة مشهودي في الدنيا" [١]

وهنا يوضح الإمام الصاوي أساليب تطهر النفس والذي تتحدد في إرادة النجاة من النار والفوز بالجنة، فقد جعل النفس الملهمة في قوله تعالى: **﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾** [٢] في مقام الفناء في حين أن المراد بهذه الآية بيان حقيقة النفس التي جبلها الله تعالى على معرفة الخير من الشر، حتى تقوم الحجة عليها ويصح تكليفها.

كما بين أثر تجلي أسماء الله الحسنى على هذه الأنفس في ترقيها في المقامات فيقول: "لقد وضعوا للمقام الأول من هذه النفوس وهي النفس الأمارة، لا إله إلا الله لنفي الأغيار من كل حجاب ظلماني، ووضعوا الاسم الأعظم وهو الله في المقام الثاني، للخلاص من النفس اللوامة، فإن تجليه يفنيها، ووضعوا للمقام الثالث وهي النفس الملهمة هو بالسكون والمد موضوع لحقيقة الحق، فذكره يناسب الفاني في ذات الله، فإذا صح من سكره وضعوا له حق؛ لأن تجليه يحصل له دومًا طمأنينة، فإذا استمر ثابتًا بعد صحوه من الفناء وضعوا له المقام الخامس وهو الحي، فإذا خلعت عليه خلعته صارت نفسًا مرضية للرب، وناسبه القيوم لأن به قوام العالم، فتخلع عليه خلعة القيومية، وهو التصرف في العالم، فيصلح للخلافة فينتقل للكمال وهو شهود الذات، فيناسبه القهار ليخلع عليه خلعة يقهر بها المعاندين" [٣] وكلما ازداد العبد علمًا كلما تحققت العبودية، لذلك قال تعالى:**﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾** [٤] حيث نلجأ إلى الله تعالى بأسمائه، وكل سؤال يتوجه به العبد إلى الله سائلا إياه بأسمائه فهو من الدعاء.

=القاهرة، د. ت، ص٨٥، أيضًا: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة الطبعة الخامسة، ١٩٧٠م، ص٩٦ أيضاً:

Zeller : Outlines of History of Greek philosophy London, 1955, P :150.

[١] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية ، ص٨٥.

[٢] سورة الشمس، آية : ٨.

[٣] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج٣، ص٦٢ .

[٤] سورة الأعراف، آية : ١٨٠.

ثامنًا: آداب الطريق عند الإمام الصاوي

يعتمد التصوف على مجموعة من الآداب والسلوكيات أو كما ما يطلق عليه الصوفية الطريق، وهذا الطريق لابد فيه من وجود الشيخ أو المربي والمريد، ومجموعة من الآداب التي يلتزم بها كل من الشيخ والمريد، ولقد اهتم الصاوي بتحديد هذه الآداب وذلك بقوله: "ولا يدل الأخلاق المحمدية إلا الأشياخ العارفون بربهم، فمن أراد السلوك والوصول فليلزم عارفًا عالمًا بكتاب الله، ويُختبر قبل الأخذ عنه، فإن وجدوه كاملًا على القدم المحمدي فليطلب رضا الله في رضاه، ويعتقد أنه أكمل أهل عصره، ولذلك قال العارفون: حال رجل في ألف رجل، أنفع من وعظ ألف رجل في رجل" [١]

أما عن الصفات التي يجب أن يتحلى بها الشيخ فيوضحها الإمام الصاوي في قوله: "أهم هذه الصفات صفة الحلم، لأنه جامع لأوصاف الخير، وذلك حتى يكون منه التحمل لمشاق عباد الله، والصبر على آذاهم، فلا يستفزه الغضب مع التكثير بالإخوان، إلا فيما يغضب الله، ويجب مع ذلك أن يكون تابعًا للحق، أي للدين القويم، مستمسكًا بأوامره مجتنبًا لنواهيه، قال تعالى:﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ**﴾ [٢] وهذا لا يؤخذ إلا عن سالك الطريق، البالغ الكمال، الآخذ عن الرجال، بالجد والاجتهاد، "فإن لم تجد كاملًا فألزم الصلاة على الحبيب المصطفى(ﷺ)، فإنها شيخ من لا شيخ له" [٣]

هذه هي الصفات التي يجب أن يتحلى بها الشيخ، فلابد أن يكون متبعًا سُنة النبي(ﷺ)، وأن يكون حليم لا يغضب على مريديه، لكن إذا لم يوجد شيخ يتصف بهذه الصفات، فإن الإمام الصاوي يرى أن الصلاة على رسول الله(ﷺ) هي أفضل شيخ لمن لا شيخ له، لذلك يطلب الإكثار في هذه الحالة من الصلاة على النبي(ﷺ)، وإذا وجد الشيخ فإن هناك مجموعة من الآداب التي يجب أن تكون بين الشيخ والمريد، ويستشهد الإمام الصاوي بالآيات القرآنية على هذه الآداب، مثل قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ**﴾ [٤] فهذه الآية قد جمعت مجموعة من الآداب الظاهرة والباطنة، وأوامر ظاهرية وباطنية، عامة وخاصة، فهي متضمنة لطريقة الصوفية التي من تمسك بها وصل" [٥] مع مراعاة الأولوية في طلب العلوم التي يجب أن

---

[١] الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص٦٩.
[٢] سورة الحشر، آية : ٧.
[٣] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص٨٦.
[٤] سورة الحجرات، آية : ١.
[٥] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص٨٦.

تكون في المريد، وهذه العلوم فيما يرى الإمام الصاوي لا تكون إلا بعد معرفة الأحكام الفقهية، التي بها تصح جميع عباداته، ولذلك قال :"من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف وتفقه فقد تحقق" [١]

ويعد قول الإمام الصاوي هنا بأن من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق نقدًا لكل من أشتغل بالفقه ولم يتخذ الطريق الصوفي طريقًا، حيث اعتبر الفقيه في هذه الحالة في مرتبة الفسق، ولا شك أن ربط التصوف بالفقه تعد سمة عامة في التصوف الإسلامي، فلقد قامت محاولات عديدة في التصوف كانت تهدف إلى ربط التصوف بالفقه، ومن هذه المحاولات محاولة الطوسي**(ت ٣٧٨هـ)** التي قامت على أساس توحيد الفقه والتصوف، واعتبارهما علمًا واحدًا، وقد رد التصوف والفقه إلي علم الشريعة، ورأى: "أن الفقه قائم على الرواية، أما التصوف فهو قائم على الدراية" [٢] وهنا يقول الشعراني: "إن علم التصوف عبارة عن علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها، فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة" [٣] فالشريعة عندهم هي الباب الموصل إلى الحقيقة تأكيداً لقوله تعالى:**(وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)** [٤] فلا باطن بدون ظاهر ولا حقيقة بدون شريعة، وقد أكد الإمام الصاوي على تمسك الصوفية بالشريعة وأحكامها، مثلما فعل من قبل كل من الطوسي والشعراني والكلاباذي والقشيري وابن خلدون.

أما عن آداب السلوك فهي كثيرة بعضها يتعلق بحق الشيخ، والبعض الآخر يتعلق بحق المريدين الذين معه في الطريق، أما عن الآداب المتعلقة في حق الشيخ فتتمثل في: "أتباع كل شيء فيما يقول الشيخ، وفي هذا المعنى قال تعالى:**﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** [٥] فالميثاق هو عهد الله، وهو الامتثال للمأمورات واجتناب المنهيات، لذا تجب مطاوعة الشيخ، فالشيخ المتمسك بشرع رسول الله، القائم بحقوق الله وحقوق عباد الله، إذا أخذ العهد بذلك على إنسان وجب إتباعه، ونقض عهده إما كفر، إذا قصد نقض ما هو عليه من التوحيد، أو

---

[١] المصدر نفسه، ٨٧.

[٢] الطوسي: اللمع في تاريخ التصوف، ص٤٣.

[٣] الشعراني: الطبقات الكبرى، مطبعة صبيح، القاهرة، ج٢، ص٢٠، د. محمد جلال شرف: دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات ومذاهب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١م، ص١٠.

[٤] سورة البقرة، من الآية : ١٨٩.

[٥] سورة البقرة، آية : ٨٣.

ضلال مبين إذا قصد عدم الالتزام بأوراده" [١] ونقض العهد يجب أن يكون في حالة واحدة فقط وهي عند مخالفة الشرع، فمن خالف الشرع وأتبع هوى نفسه، فالواجب نقض عهده ؛ لأن ما لا عهد له مع الله لا عهد له مع خلقه" [٢] لهذا قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [٣] فهذه الآية وإن كان سبب نزولها بيعة الرضوان، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، فيشمل مبايعة الإمام على الطاعة والوفاء بالعهد، ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله، وإلتزام شروطه وآدابه، لذا استعمل شيوخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المريد" [٤]

ومن الآداب التي يجب أن يلتزم بها المريد اتجاه شيخه فيما يذهب الإمام الصاوي: "ألا يلتجأ إلى أحد من الصالحين غيره، ولا يزور صالحًا إلا بإذنه، ولا يحضر مجلس غيره، ولا يستمع ولا يجلس وشيخه واقف، ولا ينام بحضرته إلا بإذنه في محل الضرورات، ولا يكثر الكلام بحضرته، ولا يجلس على سجادته، ولا يسبح بسبحته، ولا يجلس في المكان المعد له، ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بغيره بل يسلم عليه بلسانه، ولا يمشي أمامه، ولا يساويه في مشيه، إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صونًا له، وأن لا يذكره عند أعدائه، وأن يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره، وأن يلاحقه بقلبه في جميع أحواله، فإن ملاحظته له ترد الشيطان عنه، ويرى كل نعمة وصلت إليه من بركته، وأن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه، وأن يصبر على جفوته وإعراضه عنه، وأن يحمل كلامه على ظاهره، وأن يلزم الورد الذي رتبه، فإن مدد الشيخ في ورده، فمن تخلف عنه حرم المدد، وأن يقدم محبته له على محبة غيره، ما عدا الله ورسوله، فإنها مقصودة بالذات، ومحبة الشيخ وسيلة" [٥]

هذه هي مجموعة الآداب التي يجب أن يلتزم بها المريد اتجاه شيخه، وهي تتمثل في الطاعة العمياء للشيخ، وهي فيما يعتقد الإمام الصاوي من تعلق بها نجا، لهذا أعطي الشيخ العديد من الآداب والتي تتعلق بحقه، فالصحبة الصوفية أعم من مجرد التلمذة أو الإتباع، وإنما هي: "من قبل الشيخ تعهد وإرشاد ومراقبة دقيقة ومحاسبة للمريد وتصحيح أوضاع ونقد وتعليم وتبصر بأسرار الحياة الروحية، وهى أيضاً محبة وعطف وأخذ بالصرامة والعنف، وهى من

[١] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج١، ص٢٥٦.
[٢] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج١، ص٢٥٧.
[٣] سورة الفتح، آية : ١٠.
[٤] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج١، ص٢٥٦.
[٥] الصاوي : حاشية الخريدة البهية، ص٧٥.

جانب المريد طاعة وحب وتفويض وفناء في شخصية الشيخ المرشد" [١] "فالمريد كالشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس، فإنها تُورَق ولكن لا تُثمر" [٢] بل أن ابن عربي يرى:"أن من لا شيخ له فشيخه الشيطان" [٣] وقال ابن عطاء الله السكندري: "من لم يكن له شيخ يوصله إلى سلسلة المتابعة فهو في الطريق لقيط لا أب له، وفي المعرفة دعي لا نسب له" [٤]

أما عن حقوق المريد على الشيخ، فتتلخص عند الإمام الصاوي في: "أن يكون محبًا لهم، ولا يخص نفسه بشيء دونهم، ويحب لهم ما يحبه لنفسه، ويعودهم إذا مرضوا، ويسأل عنهم إذا غابوا، وأن يراهم خير منه، ولا يزاحمهم في أمر دنيوي، وأن يوقر كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويتعاون معهم على حب الله" [٥]

أما عن الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب الطريق أو المبتدئ، فتتمثل في: "أن يكون مشغولًا بالله زاهدًا فيما سواه، غاضًا عن المحارم، ليس للدنيا عنده قيمة، تاركًا لفضول الحلال، كالتوسعة في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمركب، مقتصرًا على قدر الكفاية، دائم للطهارة، ولا ينام على جنابة، ولا يطمع فيما أيدي الناس، يحاسب نفسه على الدوام، لا يأكل إلا حلالًا، يكابد نفسه عن النظر إلى الصور الجميلة من النساء والأحداث، ويطالع كتب القوم" [٦] ويتواضع، ويبذل الطعام، ويفشي السلام، ويصدق مع العامة في جميع الأحوال" [٧]

وإذا تحققت هذه الآداب فيما يرى الإمام الصاوي: "تحقق للعباد ما جاء في قوله تعالى: **﴿وَأَن لَّو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾** [٨] فلو استقام العباد على هذه الطريقة بالانهماك في مرضات الله، لملأ الله قلوبهم بالأسرار والمعارف والمحبة الشبيهة بالماء في كونها حياة الأرواح كما أن الماء حياة

---

[١] القشيرى: الرسالة القشيرية في التصوف، ص١٤٥.
[٢] المصدر نفسه، ص٩٠.
[٣] أسين بلاثيوس : ابن عربي، حياته ومذهبه، ترجمة د. عبد الرحمن بدوى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١٢٧.
[٤] د. أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م، ص٨٠.
[٥] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص١٠١.
[٦] الصاوي : حاشية الخريدة البهية، ص٧٦.
[٧] المصدر نفسه، ص٧٧.
[٨] سورة الجن، آية : ١٦.

الأجسام، فيحصل لهم بسبب ذلك الفتنة فيه، بأن يسكروا ويطربوا ويدهشوا، ويخرجوا عن الأهل والأوطان، فالاستقامة سبب للرزق الظاهري والباطني"[١]

لاشك أن حديث الإمام الصاوي عن الآداب العامة التي يجب أن يتحلى بها كل من المريد والشيخ في الطريق الصوفي تعد من الأمور التي تتفق مع الشرع، ولكن تنبغي الإشارة إلى أنه لا يصح الطاعة المطلقة من جانب المريد تجاه شيخه، فهذا لا ينبغي ألا يكون إلا لله ولرسوله (ﷺ)، ويجب أن تكون طاعة الشيخ مقيدة بما يوافق أصل الطاعة المطلقة لله ولرسوله(ﷺ)؛ لأن هناك من الصوفية أعتقد أن حصول النعم إنما يكون ببركة الشيخ، فمرد النعمة لا يكون إلا لله، كما قال تعالى:**﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾** [٢] إذ أن البركة كلها لله تعالى ومنه، فهو الذي يبارك فيما شاء من عباده **﴿ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[٣] وقوله: **﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾** [٤] وكذلك يكون الرسل مباركين ؛ لأنهم ينفعون من يرسلون إليهم بما علمهم الله وأوحى لهم، مثل سيدنا عيسى**(عليه السلام)**، فقد قال تعالى فيه: **﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ﴾** [٥] أما ضرورة استغراق المريد استغراق تام في الشيخ وملاحظته، فهذا لا ينبغي أن يكون لأحد إلا لله تعالى.

تاسعًا: وحدة الشهود

وحدة الشهود عبارة عن حالة نفسية يصل فيها العبد بالمجاهدة إلى القرب من الله، حتى يتمكن الصوفي من رؤية ربه ومشاهدته مشاهدة قلبية، فهي "أول مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق بذلك فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله عز وجل" [٦] والإمام الصاوي يعتقد بوحدة الشهود أي شهود ذات الحق لمن اختصهم الله من عباده سواء كانوا من الأنبياء أو كانت لغيرهم لغيرهم من الأخيار وهي على تفاوت، فمشاهدة الأنبياء تختلف عن مشاهدة غيرهم، ومشاهدة الأنبياء فيما بينهم تختلف، حيث أن مشاهدة النبي(ﷺ) لا تساويها مشاهدة، فهو يذهب في تحليله للمعرفة بأن :"المعرفة الخاصة هي شهود أفعال وهي للأبرار، وشهود أسماء وصفات وهي للأخيار، وشهود ذات وهي لخيار الخيار، والمراد شهود الذات من غير وقوف على كنه، إذ الكنه لا يدرك حتى للمصطفى؛ لأن الحادث لا يحيط بالقديم، فهل تجلي الذات يكون لغير الأنبياء أو لا يكون إلا للأنبياء؟ والصحيح أنه

---

[١] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج٤، ص٢٤٢.
[٢] سورة النحل، آية : ٥٣.
[٣] سورة الأعراف، آية : ٥٤.
[٤] سورة الفرقان، آية : ١.
[٥] سورة مريم، آية : ٣١.
[٦] الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص١٣٨.

يكون لغير الأنبياء أيضًا لكن لا كتجلي الأنبياء، وكذلك شهود الأنبياء يتفاوت فشهود نبينا (ﷺ) أعلى لا يساويه شهود أحد" [١] فقد قال تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [٢] أي إني قريب بعلمي وسمعي وبصري وقدرتي وإرادتي، ولم يقل بذات، وإن كانت الذات لا تفارق الصفات ؛ لأنه يتوهم للقاصر الحلول فيقع في الحيرة، وأما من فني عن وجوده فلم يشهد إلا الله فقد زال عنه الحجاب فلا حيرة عنده إذ لم يشهد غيره" [٣]

لكن إذا كان الإمام الصاوي يعتقد بوحدة الشهود، فإن هذا لا يعني أنه يعتقد بوحدة الوجود كاعتقاده بوحدة الشهود، وهذا واضح من قوله: "أن الله تعالى أشار للحقيقة بقوله وهدى ورحمة للمؤمنين ؛ لأن بالحقيقة التحلي بالأنوار الساطعة في القلوب التي يرى بها الأشياء على ما هي عليه عيانًا، فعند ذلك يرى الله في كل شيء، علمًا ذوقيًا لا علمًا يقينيًا" [٤] وأن شهوده تعالى: "لا يناله إلا من تخلى عن الشهوات النفسانية، وخرج من الطبائع الحيوانية" [٥]

فوحدة الشهود التي يعتقد بها الإمام الصاوي تعني اتحاد العبد مع الله اتحاد عيان ومكاشفة لا اتحاد جواهر وأعيان، فهي عبارة عن حالة نفسية يصل فيها العبد بالمجاهدة إلى القرب من الله، حتى يتم له الاتصال به فيتمكن من رؤية ربه، ومشاهدته مشاهدة قلبية، فهناك أثينية بين ذات الخالق وذات المخلوق ولا تكون فيها أحدية، لهذا فإن الفرق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود أن الأثينية في وحدة الشهود ما زالت موجودة بين الخالق والمخلوق أما وحدة الوجود فتنمحي هذه الأثينية، فالله تعالى في وحدة الشهود: "بائن من الأشياء، والأشياء بائنة منه بصفاتها، والذي أظهر في الأشياء فذلك آثار صنعته ودليل ربوبيته" [٦] ومع ذلك فقد نقد الإمام القشيري من يعتقدون بوحدة الشهود ورأى: "أنه قد توهم قوم أن المشاهدة تشير إلى التفرقة ؛ لأن باب المفارقة لا تحدث إلا بين أثنين، وهذا تخيل من صاحبه فإن في ظهور الحق إهلاك للخلق" [٧]

---

[١] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج١، ص٢٧٦.
[٢] سورة البقرة، آية : ١٨٦.
[٣] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج١، ص٧٩.
[٤] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية ، ص٧٦.
[٥] المصدر نفسه، ص٧٧.
[٦] الطوسي: اللمع في التصوف، ص٢٣٤.
[٧] القشيري: الرسالة في التصوف، ص٦٧ انظر أيضًا الجرجاني: التعريفات، ص٢٩.

عاشرًا: الولاية والكرامة

١) الولاية(*)

تعد الولاية أساس الدخول إلى المعرفة بالله والتي هي نهاية المعراج الروحي عند كل السالكين إلى الله، وهي عند أهل السنة ثمرة الالتزام بطاعة الله وحسن التوجه له، قال تعالى: **﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾** (١) وقوله تعالى:**﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُو﴾** (٢) وقوله تعالى:**﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾** (٣) ويرى أهل السنة أن الولاية لها جانبان: أولهما من جهة العبد، وهو طاعته وامتثاله لما أمر الله به، واجتنابه لما نهى عنه، والتقرب إلى الله بالنوافل، كما جاء في الحديث القدسي ما زال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، وثانيهما: أن يتولى الله العبد بالقرب والرحمة، ولكن الولاية عند الصوفية لا ينالها إلا أهل الكرامات وأهل الترقي في مقامات الفناء والبقاء، فهي عندهم: "قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام التمكين" (٤) فهي بمثابة منزلة قد تسمو بصاحبها حتى ترتفع به فوق منازل العباد، حتى تنكشف لهم الحجب فيشهدون ما خفي من العلوم الغيبية، ولهذا أعتقد ابن عربي أن مقام الولاية أعلى من مرتبة النبوة: "بل إن هذا المقام دائرته أتم وأكبر من دائرة النبوة، لذلك ختمت النبوة والولاية دائمة، وجعل الولي أسم من أسماء الله دون النبي" (٥)

(*)الولاية في اللغة بكسر الواو من وليه وليًا أي دنا منه دنوًا، وأوليته إياه بمعنى أدنيته منه ومنه والاه وموالاة ووالي بين الشيئين إذا قارب بينهم. الزمخشري : أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، ج٢، ص٥٢٨ وهي عند ابن منظور بمعنى النصرة، وينصرف معناها إلى من تولاه الحق تعالى بإحسانه وفضله، ولهذا فمن أسمائه تعالى الوالي وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها، ولا ينفك معناها أيضًا عن المحبة والمودة، ولهذا يقال فلان يلي فلانًا أي يقرب منه، والولي بحسب هذا المفهوم هو القريب" انظر. ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٤٩٢، وتعرف الولاية عند الصوفية بأنها: قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، أما الولاية في الشرع فتعني تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبى"انظر الجرجاني: التعريفات، ص٢٤٩، أيضًا عبد الرزاق الكاشاني : اصطلاحات الصوفية، ص٧٦، ولقد ذهب الكلاباذي إلى أن الولاية ولايتان، الأولى: ولاية تخرج من العداوة وهي لعامة المؤمنين، فهذه لا توجب معرفتها والتحقق بها للأعيان، لكن من جهة العموم فيقال المؤمن ولي الله، والثانية: ولاية اختصاص واصطناع، فهذه توجب معرفتها والتحقق بها، ويكون صاحبها محظوظًا عن النظر عن نفسه فلا يدخله عجب ويكون مسلوبًا من الخلق، بمعنى النظر إليهم بحظ، ويكون محظوظًا عن آفات البشرية، وإن كان طبع البشرية قائمًا معه باقيًا فيه، فلا يستحلي حظًا من حظوظ النفس استحلاء يفتنه في دينه واستحلاء الطبع قائم منه، وهذه هي خصوص الولاية من الله للعبد" انظر الكلاباذي: التعرف على مذهب أهل التصوف، ص٩٠، هكذا فإن الولاية اصطلاحيًا تعني مرتبة من مراتب القرب الإلهي.

(١) سورة يونس، آية : ٦٢ ٦٣.

(٢) سورة محمد، آية : ١١.

(٣) سورة الأعراف، آية : ١٩٦.

(٤) عبد الرزاق الكاشاني : اصطلاحات الصوفية، ص٧٦.

(٥) ابن عربي : فصوص الحكم، تحقيق د. أبو العلا عفيفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٦م، ص١٢٦.

لذا فإن الأولياء عند ابن عربي معصومين كالأنبياء من الوقوع في الخطأ، وهذا مما لا يعتقد به الإمام الصاوي؛ لأن الولي عنده هو:"المواظب على فعل الطاعات التارك للمنهيات المعرض عن اللذات والشهوات، فلا يفعل شهوة من حيث هي شهوة، بل أفعالة دائرة بين واجب ومندوب، فهو يأكل بقصد التقوى على الطاعات، وينكح بقصد عفة الزوجة والنسل، فأفعاله ليست بشهوات، وسموا بذلك لأنهم المنصورون بالله المعززون به لا يطمعون في شيء سوى القرب منه، فالولي هو المنهمك في طاعة ربه وفاضت عليه الأنوار والأسرار" [١]

أي أن الطاعة والتقوى من الشروط الواجب توفرها لتحقيق ولاية الولي، وحتى إذا ما تحققت الولاية للولي، فإن ذلك لا يمنع وقوعه في المعصية فيما يرى الإمام الصاوي، وذلك راجع لعدم عصمته، فهو ليس معصوم كالنبي : "بل إن الولي تجوز عليه المعصية، ولكن لا يصر عليها بل يتوب" [٢]

ومن شروط تحقيق الولاية أيضًا: "المعرفة بالله سبحانه وتعالى، وظهور نور الإيمان له، حتى يكون مراقبًا لله في جميع أحواله، فينتج من ذلك أن يستدل بالحق على الخلق" [٣] وكذلك العلم بالأحكام الشرعية، كالأنكحة والبيوعات" [٤] فإذا لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله ولي، وذلك في العالم العامل بعلمه" [٥] لأن الولي عند الإمام الصاوي: "هو العالم العامل بعلمه، أما العالم الذي لا يعمل بعلمه فليس بولي، فولايته متوقفة على إخلاصه في العمل لربه" [٦]

والإمام الصاوي هنا يوجه نقده إلى بعض الصوفية الذين يدعون الولاية بغير علم، فهم على حد قوله: "متشبهون بلبس الخرق، منهمكون في الشهوات وأنواع الجهالات، ولا يعرفون من طرق شيخهم إلا أسمها، وينكبون على الدنيا انكباب الأسد على الفريسة، ويخترعون أمورًا لا تحل في الشرع، كالطبول والزمور والكاسات، خصوصًا في مساجد الله، ويكثرون من وقيد الزيت والشموع، ويزعمون أنها طريقة الرحمن، كلا والله بل طريقة الشيطان" [٧] لأنهم مخالفون لطريق الشرع، ولهذا نراه يفصل بين الولي الحقيقي وبين من يدعي الولاية، ويرى أن هناك طريقين لتحقيق الولاية فهي إما أن تكون مكتسبة بالمجاهدة، وإما أن تكون إلهامية بالكشف عن الغيبيات كما تحدث للأنبياء: "فمن قال أنها

---

[١] الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص٥٤.
[٢] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج٢، ص١٨٩.
[٣] الصاوي : حاشية جوهرة التوحيد، ص٥٤.
[٤] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج٢، ص١٨٩.
[٥] المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٢.
[٦] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية ، ص٥٦.
[٧] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية ، ص٧٨.

مكتسبة وأراد بها التخلي عن الأغيار، وشهود الواحد القهار، فإنها مكتسبة بالمجاهدة، أما الولاية بمعنى العطايا التي خُصت بها العنايات كالعلوم اللدنية، والكشف عن الغيبيات والاجتماع بسيد العالمين والكرامات ليست مكتسبة"[١]

والفرق بين الولاية عن طريق الاكتساب والولاية عن طريق الإلهام، كالفرق بين الوحي والإلهام في تلقي العلوم الغيبية، فالإلهام مفارق للوحي من حيث انعدام العصمة فيه "فإلهام الأولياء لا مانع من اختلاط الشيطان به ؛ لأنهم غير معصومون بخلاف الأنبياء، فإلهامهم محفوظ منه"[٢] كما أن الولاية باقية ببقاء القرآن وتختتم به، فعلامة انعدام الأولياء رفع القرآن"[٣]

إذن تعد الولاية عند الإمام الصاوي مرتبة في الدين لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهرًا وباطنًا، وهو بذلك يؤمن بأن باب الولاية مفتوح، وهي حق مقدور لكل إنسان، وبأن الإيمان والتقوى هما مفتاح الدخول إليها ؛ وأن اللهَ وليُّ المؤمنين:**(ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ)**[٤] وهنا تكمن فكرة تحقيق الولاية عند الإمام الصاوي وذلك في إتباع النبي**(ﷺ)** ظاهرًا وباطنًا، فهي ليست إدعاءً وإنما هي إتباعٌ، وأساس الطريق وبدايته إلى الله هو سلوك الصراط المستقيم الذي بعث به النبي**(ﷺ)** وأنزل به كتابه وأمر الخلق كلهم بسلوكه، وأفضل العباد من سلك طريق النبي**(ﷺ)** واتبعه في العبادة البدنية والاجتهادات القلبية، ومن ادعي ولاية الله ومحبته بغير طاعته التي شرعها على لسان نبيه**(ﷺ)** تبين أنه كاذب في دعواه كما كان المشركون يتقربون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدونه من دونه، فحقيقة الولي تتمثل إذًا في أتباع النبي**(ﷺ)** فهي علاقة تلازم لا يصلح انفكاكها عنه، وذلك في مقابل من يدعي الولاية ولم يلتزم طريقها، ولهذا فإن منهج الإمام الصاوي قد وافق منهج السلف الصالح في تحديد الطريق إلى الولاية.

---

[١] الصاوي : حاشية على تفسير الجلالين، ج٢، ص١٨٩.
[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٢.
[٣] الصاوي : حاشية الصلوات الدرديرية، ص٥٦.
[٤] سورة محمد، آية : ١١.

٢) الكرامة[*]

يؤكد الإمام الصاوي إمكانية حدوث الكرامة للأولياء، ويرى أنها لا تظهر إلا على من صدق في إيمانه وإخلاصه وتوكله على الله ، فالله سبحانه وتعالى قد يخرق العادة لبعض المحبين له ولمن يشاء من عباده: "فهي تظهر على يد شخص ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبيه، فمما يجب اعتقاده ثبوت الكرامات للأولياء، فهي واقعة شرعًا جائزة عقلًا، دليل ذلك ما ورد في القرآن من قصة مريم وولادتها عيسى من غير زوج، وما وقع من كرامات الصحابة والتابعين" [١]

الولي إذن عند الإمام الصاوي لابد له من كرامة، وهو يشترط في صاحبها الصلاح والتقوى، وهي إما أن تكون معنوية كالمعرفة بالله، أو حسية كالأرزاق الدنيوية من الحلال" [٢] والأولياء الذين أعطاهم الله التصريف قد يكون الواحد منهم جالسًا في مكان وروحه تسرح في أمكنة متعددة" [٣] ولقد ثبت في حياة الصحابة والتابعين إجراء أحكام خارجة عن مقتضى العادة، يتأتى بها تحقيق مطلب ديني أو دنيوي، تكون من الله تعالى إكرامًا للعبد، وهذا ما قاله ابن تيمية: "المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة" [٤] ولكن كرامات الأولياء من آيات الأنبياء، فإنها تكون لمن تشهد لهم بالرسالة، فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة، وكرامات الأولياء معتادة من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك، فانشقاق القمر والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حية، وخروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء، فآياته تعالى صغار وكبار، كما قال تعالى:﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾[٥] فلله تعالى آية

---

[*] الكرامة كما يعرفها الجرجاني: "هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة" الجرجاني: التعريفات، ص١٨٤، ولقد حدث خلاف بين الأشاعرة والمعتزلة حول مسألة الكرامة، فلقد ذهب الأشعري إلى أنه يجوز أن يخص الله عز وجل من عباده الصالحين بآيات ويظهرها عليهم" انظر الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص٥٥ واستند في ذلك إلى ما حدث لغير الأنبياء من خوارق كما حدث لمريم وأصحاب الكهف، وكما رؤى عن بعض الصحابة وخاصة ما حدث لعمر بن الخطاب مع سارية، أما المعتزلة فقد أنكرت وقوع الكرامات على يد الأولياء، لأنهم رأوا في ذلك قدحًا لمقام الأنبياء، فمن شأن الخارق أن يكون خاصًا بهم لا لغيرهم من الناس" البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٧٥.

[١] الصاوي: حاشية الصلوات الدرديرية، ص٧٨.

[٢] المصدر نفسه، ص٦٥.

[٣] المصدر نفسه، ص٦٦.

[٤] ابن تيمية : مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن قاسم، مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨١ه، ج١٠، ص٢٩.

[٥] سورة النازعات، آية : ٢٠.

كبرى وآية صغرى، وقال عن نبيه محمد(ﷺ):﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [١] فالآيات الكبرى مختصة بهم، وأما الآيات الصغرى فتكون للصالحين" [٢]

ننتهي من ذلك أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، وكرامتهم ثمرة إيمانهم وتقواهم كما أشار إلى ذلك الإمام الصاوي، وهو يتفق في ذلك مع أهل السنة، إذ أنه يتفق معهم في أمرين هامين أولهما: أن الكرامة يتقدمها الثبات على الإيمان، وهي منة من الله تعالى على عبده المؤمن، وثانيهما: إن الكرامة وإن كانت خرقًا للعادة، فليست دليلًا على الولاية؛ لأنه من الممكن أن تتحقق مقدمات الولاية دون حصول شيء من الخوارق أو الكرامات.

[١] سورة النجم، آية : ١٨.
[٢] ابن تيمية : النبوات، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ص٢٣٢.

الخاتمة

ننتهي بعد البحث والدراسة للآراء الصوفية عند الإمام أحمد الصاوي إلى النتائج التالية :

أولًا: حاول الإمام الصاوي التوسط والاعتدال في متابعة الصوفية فخالفهم في الكثير من المسائل التي اشتهرت عنهم مثل وحدة الوجود وتفضيل الأولياء على الأنبياء، فقد أكد على تفضيل الأنبياء على الأولياء، ورأى أن الولاية لا تنال إلا بمتابعة النبي(ﷺ) وأنكر على الصوفية قرع الطبول والمزامير والتغني والرقص وكذلك ممن يتبركون بالأولياء والصالحين ويعتقدون فيهم الضر والنفع، ويرى أن من يملك النفع والضر هو الله تعالى ؛ لأن اعتقاد البعض بأن بيدهم النفع والضر إنما يدخل الإنسان في دائرة الشرك، فكثير ممن ينتمون إلى الطرق الصوفية قد استحوذ عليهم الشيطان، حيث جعلهم يعتقدون حصول الضر والنفع من هؤلاء الأولياء.

ثانيًا: كثيرًا ما كان يلجأ الإمام الصاوي إلى استخدام التأويل في تفسيره للنصوص الدينية، وقصره على مجموعة من الصوفية أطلق عليهم الخواص، ومنع أهل العلم بالظاهر أي العلم بالشريعة من التأويل والخوض فيه، حيث أنه اعتبر علماء الظاهر من العوام وليس لهم اجتهادات في العلم اللدني، وأرجع فهم الحقائق إلى أهل الولاية وهم من يسميهم بالخواص.

ثالثًا: يعد تصوف الإمام الصاوي أقرب إلى التصوف السني منه إلى التصوف الفلسفي، فرغم إعجابه بعمر بن الفارض وابن عربي إلا أنه لم يعتقد بفكرة الاتحاد أو وحدة الوجود وعصمة الأولياء كالأنبياء، وما يترب على ذلك من التحلل من أحكام الشرع .

رابعًا: تعد الولاية عند الإمام الصاوي مرتبة في الدين لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهرًا وباطنًا، وهي حق مقدور لكل إنسان، حيث يكمن تحقيقها في إتباع النبي(ﷺ) ظاهرًا وباطنًا، فليست الولاية إدعاءً وإنما هي إتباعٌ، وأساس الطريق وبدايته إلى الله هو سلوك الصراط المستقيم الذي بعث به النبي(ﷺ) وأنزل به كتابه وأمر الخلق كلهم بسلوكه، وأفضل العباد من سلك طريق النبي(ﷺ) واتبعه في العبادة البدنية والاجتهادات القلبية، ومن ادعي ولاية الله ومحبته بغير طاعته التي شرعها على لسان نبيه(ﷺ) تبين أنه كاذب في دعواه كما كان المشركون يتقربون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدونه من دونه .

خامسًا: باب الولاية عند الإمام الصاوي لا يزال مفتوحًا أمام كل إنسان أراد الوصول إلى الله تعالى، وبالتالي تنتفي فكرة ختم الأولياء ما دامت الولاية حقًا لكل إنسان بحسب إيمانه الراسخ وعمله الصالح، ولكن مهما بلغ الأولياء في كمال العبادة والطاعة لله، إلا أنهم يظلون دون مرتبة الأنبياء.

المصادر والمراجع

أولاً: مؤلفات الإمام أحمد الصاوي

١ **الصاوي (الإمام أحمد ت: ١٢٤١هـ)**: حاشية على شرح الخريدة البهية للدردير، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، مجلد ١، ١٩٤٧م

٢**.....:** الحاشية على الصلوات الدرديرية، تحقيق محمد يوسف، مكتبة القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٣ **..... :** تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، تحقيق عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ه، أيضًا : تحقيق إبراهيم الباجوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٤ **.....:** لغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، د. ت.

٥ **.....:** حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، تحقيق عبده المنشاوي، دار الحديث، القاهرة، د. ت.

ثانياً :أهم المصادر والمراجع العربية

٦ **ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم) :** منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية تحقيق د. محمد رشاد سالم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٧ **.....:** مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن قاسم، مطابع الرياض، الطبعة الأولى ، ١٣٨١هـ.

٨ **.....:** قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تحقيق ربيع المدخلي، دمنهور مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٩ **ابن حزم :** الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، تحقيق عبد الرحمن خليفة، مطبعة صبيح، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ.

١٠ **ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبي بكر) :** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.

١١ **ابن رشد (أبو الوليد) :** مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة، ضمن فصل المقال تحت عنوان فلسفة ابن رشد، مكتبة التربية للطباعة، بيروت ١٩٨٧م.

١٢ **ابن سينا (الشيخ الرئيس):** الإشارات والتنبيهات، تحقيق د. سليمان دينا، القسم الطبيعي، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٧م.

١٣ **ابن عربي (محي الدين):** فصوص الحكم، تحقيق د. أبو العلا عفيفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ج١، ١٩٤٦م.

١٤ **.....:** الفتوحات المكية، تحقيق د. عثمان يحيى، ج٢، ج٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٥ **ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ) :** تفسير القرآن العظيم، جمعية إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العرفان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ج٣

١٦ **أبو قحف (د.محمد محمود)** : التصوف الإسلامي خصائصه ومذاهبه، دار الحضارة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م .

١٧ **الأشعري (أبو الحسن) :** مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ج١٩٦٩،٢م.

١٨ **الأصفهاني (أبو القاسم حسين بن راغب) :** المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د . ت.

١٩ **الآمدي (سيف الدين)** : أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق: د. أحمد المهدي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٤٢٣ه

٢٠ **الباقلاني(أبو بكر) :** تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م

٢١ **.....:** الإنصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق : عماد الدين حيدر، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ه.

٢٢ **البغدادي (الإمام عبد القاهر بن طاهر)** : كتاب أصول الدين، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م

٢٣ **الجرجاني (السيد الشريف) :** التعريفات، تحقيق د.عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة ، ١٩٩١م .

٢٤ **الجزار (د. أحمد محمود)**: الولاية بين الجيلاني وابن تيمية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٩٠م

٢٥ .....: قضايا وشخصيات صوفية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

٢٦ **.....:** الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢٧ **الجليند (د.محمد سيد) :** منهج السلف بين التقليد والتجديد، مطبعة العمرانية، القاهرة،١٩٩٤م.

٢٨ **..... :** من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة ، مطبعة التقدم، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م.

٢٩ **الجوزية (ابن القيم):** مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج١،تحقيق عبد الله عبد السميع، دار المنار،القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٣٠ **.....:** بدائع الفوائد، ج٣، تحقيق هشام عطا، مكتبة الباز، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٣١ **الجويني(إمام الحرمين أبو المعالي):** الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق د. يوسف موسى، على عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعةالأولى، ١٩٥٠م.

٣٢ **.....:** لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة، تحقيق د. فوقية حسين محمود، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

٣٣ **الحنبلي (ابن رجب) :** فضل علم السلف على الخلف، تصحيح الشيخ إبراهيم حسن الإمبابي الشافعي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٤٧هـ.

٣٤ **الرازي (فخر الدين) :** المطالب العالية من العلم الإلهي، تحقيق أحمد حجازي السقا، دارالكتاب العربي، بيروت، ج١، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣٥ **الزر كلى (خير الدين) :** الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٣٦ **الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو الملقب بجار الله) :** الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٣، تحقيق يوسف الحمادي، مكتبة مصر، د.ت.

٣٧ السلمي (عبد الرحمن): طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

٣٨ السيوطي (جلال الدين) : الإتقان في علوم القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ.

٣٩ الشهرستاني (عبد الكريم) : الملل والنحل، ج١، تحقيق د. محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م.

٤٠ الطوسي (السراج): اللمع في التصوف، تحقيق د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠م.

٤١ الغزالي (أبو حامد) : منهاج العابدين، تحقيق د. خالد أحمد حسنين، دار الوفاء،الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م

٤٢ .....: المستصفي من علم الأصول، دار الفكر للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠م

٤٣ .....: المنقذ من الضلال، تحقيق على بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت ، الطبعة الأولى،١٩٩٣م

٤٤ .....: إحياء علوم الدين، طبعة القاهرة، ١٣٣٤ه.

٤٥ القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر): الجامع لأحكام القرآن، ج٤، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م

٤٦ القشيري (عبد الكريم بن هوازن): الرسالة القشيرية بشرح زكريا الأنصاري، مطبعة صبيح، القاهرة، ١٩٧٢م

٤٧ الكاشاني (عبد الرزاق) : اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد الخالق محمود، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ه.

٤٨ الكلاباذي (أبو بكر محمد): التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٦٩م

٤٩ النجار (د. عامر) : الطرق الصوفية في مصر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٢م .

٥٠ بالي (د. مرفت عزت) : نماذج من مذاهب الفرق الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،١٩٩٠م

٥١ **بدوي (د. عبد الرحمن) :** مذاهب الإسلاميين واختلاف المصليين، دار العلم للملايين، ج٢، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٧١م

٥٢ **تركي (د. إبراهيم محمد):** علم الكلام بين الدين والفلسفة، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م

٥٣ **جولد تسهير (أجناس):** العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة د. محمد يوسف موسى، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م

٥٤ **حجازي (د. عوض الله) :** ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م

٥٥ **صقر (د. إبراهيم محمد إبراهيم)** : دراسات في علم الكلام، مكتبة دار العلم، القاهرة، ١٩٩٥م

٥٦ **عفيفي(د.أبو العلا) :** التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م .

٥٧ **عون (د. فيصل بدير)** : علم الكلام ومدارسه، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة،١٩٨٢م .

٥٨ ..... : التصوف الإسلامي الطريق والرجال، مكتبة سعيد رأفت القاهرة، ١٩٨٣م .

٥٩ **مدكور (د.إبراهيم) :** في الفلسفة الإسلامية " منهج وتطبيقه " ج١، دار المعارف،بمصر، ١٩٧٦م

ثالثًا : المراجع الأجنبية :

1)Oliver leaman : An introduction to medieval Islamic philosophy , Cambridge, University Press, 1985 .

2) Seyyed Hossein Nasr: Oliver Leman: History of Islamic philosophy, part 1, London , New York 1996.

3) The Encyclopedia of philosophy, volums5,Macmillan reference USA,1996.

4) Zeller : Outlines of History of Greek philosophy London, 1955).